رسائل ثقافية

لبنان : من زاهي رزق

في الاوساط الثقافية في لبنان ، عندما يتحدثون عن « الموسم » فهم يقصدون الاشهر الثلاثة او الاربعة من كل عام ، التي تمتد من اواسط الشتاء حتى اواخر الربيع ، ويسارع فيها المؤلفون الى نشر مؤلفاتهم والفنانون الى عرض آثارهم ، قبل ان يجيء الصيف ، فتقفل معاهد التدريس ويتفرق الطلبة ويهرع الناس بعد نتهاء اعمالهم اما الى شاطىء البحر او الى مصايف الجبل ، مانحين انفسهم اجازة مطولة من النشاطات الثقافية الايجابية والسلبية معا . فمن منتصف حزيران (يونيو) الى منتصف تشرين الاول (اكتوبر) تقريباً يتردد الا اجراً الناشرين والعارضين على النشر والعرض ، وينتظر الباقون عودة الطلبة واقفار الشاطىء والمصايف ، لتبدأ الحياة من جديد ، وتصل اوجها بعد اشهر ، في « الموسم » .

لكن ظاهرتين جديدتين ، بدأتا ، في السنوات الاخيرة ، تخففان من جدب اشهر الصيف : اولاهما مهرجان بعلبك ، غير ان اكثر نشاطات هذا المهرجان اجنبية مستوردة ولا علاقة لها بنتاج البلد ؛ والثانية جوائز اصدقاء الكتاب ، وهي جوائز سخية نسبياً قد تكون الوحيدة التي ينالها رجال الادب والفكر ، وتعطى مرة كل عام ، في اوائل الخريف ، ويشترط في الكتب المقدمة لها ان تكون قد نشرت فعلا – لذا يسارع المتقدمون للجوائز الى نشر كتبهم في الفترة القصيرة السابقة للموعد ، اي خلال الصيف وفي اواخره .

وان كانت جوائز اصدقاء الكتاب هذه تلعب دوراً غير مباشر في توقيت النشر ، فانها ايضاً تلعب دورا في تحديد نوع الكتب المؤلفة . فاذا ما اعلنت اللجنة انها ستكرس جائزة للقصة القصيرة مثلا هذا العام (كما حصل فعلا) تكاثر عدد الذين يعملون الآن على اعداد مجموعات من القصص القصيرة آملين ان يفرغوا من وضعها ومن نشرها قبل الموعد المحدد ؛ واذا ما اعلنت اللجنة انها ستكرس جائزة للرواية مثلا ، او للدراسة ، او لسواهما ، تكاثر عدد العاملين على الروايات او الدراسات او سواها ، وهكذا .

اما في الحقل الفني فقد تعددت المعارض في الاشهر الاخيرة ، وكان اكبرها معرض الربيع الذي تقيمه كل عام وزارة التربية والفنون الجميلة. وقد جرى هذه السنة في فندق الكارلتون ، وضم لوحات ورسوماً ومنحوتات لجميع فناني لبنان تقريباً. لكن هذا لم يكن المعرض الذي من شأنه ان يعطي الصورة الافضل عن واقع الفن اللبناني في الوقت الحاضر . وقد لا يقع اللوم كله في ذلك على منظمي المعرض ومنتقي محتوياته ، اذ يقع جزء منه ايضا على الفنانين انفسهم ، الذين كأنما اتفقوا على الا يعرضوا من نتاجهم الا ما كان من الدرجة الثانية ، واحياناً الثالثة ، وان يبقوا خير نتاجهم في ستوديوهاتهم او لمعارضهم الخاصة المستقلة. لكن المنظمين اخطأوا بدورهم في اختيار مكان مناسب للعرض : فقاعات فندق هو من ابرز فنادق المدينة لم يكن بدّ من ان تنشغل في الوقت ذاته

بنشاطات اخرى لها في عرف الفندق اهمية اكثر مما الصور : فكان يتوجب على المتفرجين ان يختاروا وقتاً ليست تقام فيه حفلات في القاعات حيث الصور ، وكان عليهم (ان نجحوا في ذلك) ان يعرفوا كيف يعثرون على الصور ذاتها ، المخبأ بعضها وراء عواميد والتي تحجب بعضها الآنية والاطباق المعدة لحفلة لاحقة . واذا ما نجحوا في ذلك ايضاً وعثروا على موضع الصور ، كان عليهم ان يقوموا بتفتيش جديد ، خلاصته : بمن من الفنانين الغربيين يذكرنا فناننا هذه ، وبأية صورة اجنبية تذكرنا هذه الصورة ؟ وقد انحى مدير قسم الفنون الجميلة في وزارة التربية والمسؤول المباشر عن معارضها باللوم في هذا التأثر المبالغ فيه بالفنانين الاجانب على الجمهور اللبناني لانه « جمهور متأثر بالاتجاهات الفنية الغربية ، وهو بفعل هذا التأثر يفرض عفوا على الفنان اللبناني ان يكون مقلدا والا حرمه الليرات التي يشتري بها لوحته » .

على ان لدى وزارة التربية في الوقت الحاضر عدداً من المشاريع التي سيجتني منها الفنانون فوائد جمة : كمشروع انشاء بيت للفنان اللبناني ، ومشروع اصدار منشورات دورية عن الحركة الفنية ، ومشروع ادخال لبنان في المعارض الدولية ، ومشروع زيادة الاعتمادات المخصصة لشراء اللوحات والمساعدات الفنية . عدا هذا ، فقد طلبت رئاسة الوزراء الى جميع وزارات الدولة ان تسهم في شراء اللوحات والمنحوتات لمكاتبها ولسفاراتها وسواها . واقامت بلدية زحلة مباراة بين الفنانين لصنع واقامة تمثال في المدينة يجسد واقعها وتاريخها ويرمز الى بطولاتها ، ونبهت الفنانين الى انه « يرجى ان يجيء التصميم وبالتالي التمثال متوافقين مع العقلية اللبنانية العريقة التي تستحسن الاجسام المستورة بالثياب او بسواها » .

وانشئت في بيروت « مؤسسة التراث اللبناني » ، هدفها كما تقول ان تبين حقيقة دور اللبنانيين في نشوء المدنية وتطورها ، وان تصحح الاخطاء النابعة من الجهل تارة ومن التزوير طورا ، التي ارتكبها معظم المؤرخين العالميين في تدوين تاريخ الحضارة . وقد وضع منشىء « المؤسسة » الاستاذ اميل خوري حرب كتابا باللغة الانكليزية اسماه « التراث اللبناني العظيم » هو (اذا صرفنا النظر عن الاجزاء السياحية والدليلية فيه) بمثابة انجيل هذه الحركة – التي ليست هي بالجديدة على لبنان ، الواعي ابدا لتراثه الحضاري ولرسالته التمدينية ، والذي ظهرت فيه قبيل الحرب الاخيرة حركة مماثلة في اوساط بعض الادباء والشعراء : فلا شك ان الاستاذ سعيد عقل هو الاب الروحي لهذه الحركة .

يعدد صاحب الكتاب ومنشىء « المؤسسة » مآثر الفينيقيين في حقول الحضارة ، ويعيد لهم تسميتهم بالجنس المقدس ، ويسمي مناوئيهم القدامى بالبرابرة . ويذكر منجزاتهم في الرياضيات ، وفي الكتابة والحروف الهجائية ، وفي الدين ، وفي الشعر ، وفي الفلسفة ، وفي العلوم الذرية ، وفي التجارة والصناعة ، وفي الحرب والسلم ، وفي الشرائع . ويضم لابناء بلده طاليس وفيثاغورس واقليد وبندار وزينون – وهوميروس ذاته ، الذي كانت قد اختلفت على اصله سبع مدن فاضاف الآن اليها المؤلف مدينة ثامنة . كما يتحدث الكتاب عن مآثر اللبنانيين القدماء خارج بلادهم ، ويتعرض لرحلات البحارة الى امريكا ولآثار تركها هؤلاء البحارة في الولايات المتحدة وفي كوبا وسواها . ويصدّر هذا الفصل ، الذي عنونه « الفا سنة قبل كولومبس » ، باقتباس من الاستاذ سعيد عقل .

لكن الكلمة الاخيرة تظل ، كالعادة ، للاستاذ سعيد عقل نفسه . فقد اعلن مؤخرا عن حقل جديد لم يتعرض له المؤلف وكان للبنانيين القدماء قصب السبق فيه – هو الانتحار حرقاً . قال : « ان هذا النوع من الانتحار – وقد عرف بالانتحار حرقاً – هو من مبتكراتنا في التاريخ . بامرأة احرقت نفسها بداءة قرطاجة ، وبامرأة احرقت نفسها انتهت . وما قيل انه قد قام في

التاريخ اعظم من هذا البدء ولا أروع من هذه النهاية».

وقالت الاحصاءات الرسمية الاخيرة ان حوادث الانتحار في لبنان ، سواء اكانت كهذه حرقا ، ام غرقا (عند بقعة من اجمل بقع بيروت) ، او عن طريق السم او غيره ، قد ازدادت بنسبة كبيرة . لكن الانتحارات الكثيرة هذه ، وحوادث القتل التي تذكرها الصحف كل يوم ، خاصة لاسباب تتعلق بالشرف وغسل العار ، لم تحل دون ازدياد عدد السكان في البلاد ازديادا خارقا. فقد ورد في جداول مديرية الاحوال الشخصية ان عدد سكان لبنان، الذي كان قبل عشر سنوات يقل عن المليون ونصف ، اصبح في ١٩٦١ مليونين ومائة وخمسين الفا . وقد علق المحرر الاقتصادي لجريدة « النهار » على ذلك بقوله ان معنى هذا ان عدد سكان لبنان في العام الحالي مليونان و ٤٣٠ الفاً ، اي ان الزيادة الحاصلة في العشر سنوات الاخيرة تبلغ زهاء ٧٢ في المائة .

وقد كسبت المرأة اللبنانية في الاشهر الاخيرة الماضية ظفراً كبيراً ، اذ فازت امرأة ، بالتزكية، بمقعد في مجلس النواب ، لاول مرة في تاريخ البلاد . وتكهنت بعض الاوساط بان هذا الفوز سيفتح الباب امام المرأة اللبنانية في الحقول العامة والوزارية والقضائية . وظهرت في بيروت مجلة اسبوعية جديدة مكرسة لشؤون المرأة، كما افتتح فيها ناد للجودو باسم « النادي النسائي للمصارعة اليابانية » ، صرحت احدى المنتميات اليه بان « المصارعة اليابانية يجب ان تكون اساس كل حركة عند المرأة ، لانها الواسطة الفعالة للتحرر من كل سيطرة غير عادلة » . وقد تجلت هذه «السيطرة غير العادلة » في اكثر من حادث مؤخرا، مما يبرهن انه ما زال امام المرأة صراع طويل قبل ان تكسب جميع حقوقها : فلما اقدمت امرأة متزوجة على خطف عشيقها وراحت تنفق عليه بسخاء وتشتري له افخر الملابس ، تدخلت النيابة العامة وقضت على هنائهما ؛ ولما تبين ان امرأة اخرى تزوجت ستة ازواج في خلال سنة وكانت تقيم في عصمة كل منهم مدة شهرين ثم تهرب دون ان يتم بينهما طلاق ، وانها على وشك الزواج مرة سابعة ، اودعت السجن .

وتابعت حلقة المسرح اللبناني نشاطها ، وهي تعتزم اخراج مسرحية « الذباب » لسارتر بالعربية ، وكانت قد قدمت « ماكبث » في العام الفائت ؛ واعلنت عن تخصيص جائزة سنوية لافضل مسرحية . وظهر فيلم « شوشو والمليون » ، احد الافلام اللبنانية القليلة جداً . وما زال النقد الفني ، خاصة نقد المسرح والسينما ، بحكم المعدوم رغم اهميته — ولعل النقاد لم يتشجعوا عندما قرأوا عن حادث جرى في العاصمة : اذ حضر صديقان فيلماً وأخذا يتبادلان الرأي فيه بعد انتهائه ، ولما لم تتفق آراؤهما حوله اطلق احدهما الرصاص على رفيقه فارداه قتيلا .

وعقدت في بيروت عدة مؤتمرات وحلقات دراسية ، من ابرزها حلقة الدراسات العربية في الجامعة الامريكية ، ومؤتمر الترجمة التابع لليونيسكو ، ومؤتمر العلاقات الثقافية بين لبنان وايطاليا ، وحلقة العلوم السياسية ، ومؤتمر البحوث العلمية والتقنية ، ومؤتمر حقوق الطفل ، وسواها. وأقيمت في ميدان سباق الخيل ببيروت حفلة فريدة اطلق على جائزة الشوط الثالث فيها اسم جائزة الروائيين ، وعلى جائزة الشوط الرابع اسم جائزة الشعراء ، وعلى جائزة الشوط الخامس اسم جائزة المفكرين .

واخيراً — من دلائل الازمنة : بعض النقاد يرون ان اكثار كاتب ما من استعمال لفظة معينة او صورة معينة في كتاباته ، له مغزاه ومدلولاته ويلقي ضوءاً على ادبه . وقد لاحظ المراقبون ان الكلمة التي شاع استعمالها في المجلات والصحف اكثر من اي سواها وفي سياقات متعددة في الاشهر الاخيرة ، وكانت قلما ترد فيها قبل اشهر ، هي كلمة « حوار » .